شاهد-MBC الخفّاش الرقمي: منصّة تمتصّ دماء المشتركين وتطير بأحلامهم

19 يونيو 2025

وعي وصناعة مستقبل

5 دقيقة قراءة

شاهد-MBC الخفّاش الرقمي: منصّة تمتصّ دماء المشتركين وتطير بأحلامهم

ثمّة في ليلة الهلال ومدريد ما يكشف عُري منصّة تبيع الوهم وتشتري الذهب، تَعِد بالصورة وتُهدي العتمة، تحتكر البث وتُفلس المشاهدة. بينما سالم الدوسري يُراوغ مدافعي الملكي، تتشنّج الصورة كمصروع في نوبته الأخيرة؛ وإذ تصدح الحناجر بالهتاف المجيد، ينكسر الصوت كعود ثقاب رطب؛ وفي اللحظة المصيرية – تلك بالذات – حين يتصدّى بونو لركلة الجزاء، تغرق الشاشات في سواد كثيف، سواد يُذكّر بكفن يلفّ جثمان الفرحة المغدورة.

والحال أنّ هذه المنصّة صارت رمزاً لكل ما هو معطوب في إعلامنا: تدّعي الانتماء فيما قرارها يُطبخ في الخارج، وتزعم السعودية فيما خوادمها تتسكّع في الغربة، تَعِد بالجودة فتقدّم

25 إطاراً هزيلاً في الثانية بينما العالم يسبح في بحر الـ60 إطاراً.

لئـن احتكـرت شركـة الهنـد الشرقيـة التوابـل فأذاقـت الشعـوب طعـم الفقـر، فـإنّ منصّـتنا الرقمية تحتكر الفرح فتُطعمنا التقطّع المُرّ.

تلك النافذة الرقمية التي لا تملك خادماً واحداً (CDN) علـى تـراب المملكـة -فيمـا علـي بابـا تسـتثمر فـي البنيـة السـعودية- إنمـا تمـارس استعماراً معكوساً: الأجنبي يحترم الأرض، بينما "ابن الداخل" يسرقها باسم التقنية. لعلها مفارقة هذا العصر: أن يكون الغريب أقرب من القريب، والبعيد أصدق من الحليف.

يزعمون أنّهم جسر رقمي؛ بيد أنّ الجسور لا تنهار كـلّ خمـس دقـائق. "نحـن نربطكـم بالعـالم"

يقولون، فيما هم يقطعوننا عن أنفسنا. أغلب الظنّ أنّ في شعارهم "معاً نشاهد" مفارقة مُرّة: نشاهد معاً... الشاشة السوداء!

غير أن الجذور أعمق. هناك، في مستنقع MBC، تلك الإمبراطورية التي تحوّلت إلى معرض ضجيج بلا معنى... صدى يُغنّي نفسه، ويصفّق لوهمه. فمنذ إدراجها بالسوق المالية، لم يتغيّر شيء سوى ترويسة المِلْك. الإدارة بقيت كما هي، الكوادر ذاتها، الهوى هو ذاته: بيروتي النكهة، دُبيّ المزاج، بعيد عن وجدان المواطن.

والأنكى أنّ هذه المنصة تمارس ما يمكن تسميته "الاحتكار الانتحاري": تحتكر لتقتل، تملك لتُدمّر، تسيطر لتُشوّه. كأنّها جرّاح أعمى يُصرّ على إجراء عمليات القلب المفتوح، أو طيّار

ثمل يقود طائرة مليئة بالأحلام نحو الهاوية. كلّ مباراة تنقلها تتحوّل إلى مأساة إغريقية: البطل (المُشاهد) يصارع القدر (التقطّع)، والجوقة (المشتركون) تنوح على المال الضائع والوقت المهدور.

في الملعب يُحارب اللاعبون من أجل النصر؛ على الشاشة يُحارب المشاهدون من أجل الصورة. بونو يحمي المرمى؛ المنصّة تخترق البيوت وتسرق الفرح. الهلال يلعب تحت الأضواء؛ نحن نتخبّط في الظلام. سالم الدوسري يُراوغ مدافعي مدريد؛ المنصّة تُراوغ حقوقنا كمشاهدين.

يلوح أنّ هذه المنصّة وجدت في التقطّع فلسفة وجودية: نحن نتقطّع، إذن نحن

موجـودون. نحـن نُخيّـب، إذن نحـن مُهمّـون. نحـن نسـرق اللحظـة، إذن نحـن نصـنع التـاريخ – تـاريخ الفشـل طبعـاً- لعلّهـا تشبـه مـن ينتظـر باصـاً لا يـأتي أبـداً، أو كمـن يطـرق بابـاً يعلـم أنّ لا أحـد خلفـه. راهنـاً، صـارت المنصّـة متحفـاً للكـوارث البصرية: هنا انهيار الهلال وريال مدريد، وهناك تحلل الاتحاد والأهلي، وفي الزاوية رماد النصر وبيرسبوليس.

المنصّة تدّعي السعودية؛ خوادمها تتسكّع في الغربـة كلاجـئ رقمـي يخـاف العـودة.. البـثّ حصري؛ التقطّع ديمقراطي.

وإذ نقـارن بيـن هـذه المنصـة ومنصـات العـالم، نـرى الفـارق كالفـارق بيـن النـور والظلمـة، بيـن المجد والبؤس. فالعالم يُغنّي بالـ60fps، ونحن

نهمس تحت 25fps ونصف رغبة. العالم يفتح لك زوايا الكاميرا، ونحن بالكاد نفتح التطبيق.

لكن... من قلب هذا الظلام، وُلِدت شمعة. ها هـي "ثمانيـة" تُطـلّ، لا كمنصـة، بـل كفكـرة. لا كخيار، بل كضرورة. لا كبديل، بل كفارس يُنقذ الأميرة المخطوفة من الديناصور الرقمي.

ثمانيـة لا تزعـم فقـط أنها سـعودية الاسـم، بـل هي سعودية القرار والملك والصوت والسرد. لا تعـدنا بـالبث فقـط، بـل بـالاحترام. واحتـرام المشاهد ليس خدمة، بل شرف.

ذاك أن القضيـة ليسـت مجـرد نقـل مبـاراة... بـل مسألة سيادة سرد. مـن يملـك الكـاميرا، يملـك الحكايـة. ومـن لا يملـك سـرد نفسـه، يُـروى عنـه كيف شاء الآخرون.

الشعب الذي يستعير عيون الغرباء محكوم بالعمى، والأمة التي تؤجّر ذاكرتها البصرية محكومة بالنسيان، والوطن الذي لا يوثق انتصاراته بعدسته محكوم بأن تُسرق منه بطولاته في وضح النهار.

وإذ نستعيد تلك الليلة: الهلال يقاتل بشرف، بونو يتصدّى كبطل، موسم الرياض يدفع من ماله ليُهدي المشهد، بينما تلك المنصة "شاهد"... تخذل اللحظة، وتطفئ الصورة. ندرك حينها أن المعركة ليست على أرض الملعب، بل على شاشات البيوت، في كرامة المشاهد، وفي وجدان الوطن.

نريد أن نرى مجدنا... واضحاً. بكاميرا لا ترتجف، وبمنصة لا تتلعثم، وبعدسة تحبّ هذا البلد كما

نحبه.